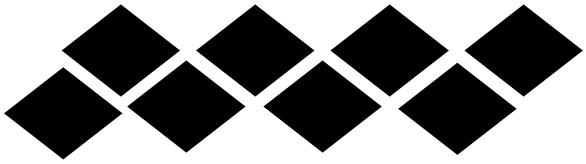

الأساطير المؤسسة للصهيونية الإسرائيلية وموقف "روجيه جارودي" منها

د. علاء أحمد عبد الله رضوان

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مقدمة:

لكي ترسخ الصهيونية مفهوم الدولة التي تحاول إقامتها على أرض فلسطين في نفوس اليهود وتقنع العالم الغربي بمساعدتها في ذلك عملت على نشر عدد من الأساطير الكاذبة التي ترسخ لأهدافها, والتي كان أبرزها أسطورة تاريخ اليهود والتي يحاول فيها الصهاينة خلق تاريخ يهودي قديم مليء بالخرافات والأساطير التي يقنعون بها الشعب اليهودي بأتباعهم فيما يرمون إليه ,وكذلك من تلك الأساطير أسطورة شعب الله المختار والتي تقوم على وهم جعل اليهود هم أفضل الشعوب على الإطلاق لأنهم أبناء الله, وبالتالي فهم مميزون عن سائر البشر وعلى الجميع مساعدتهم في تحقيق مشروعهم, وهذه الأسطورة مرتبطة بأسطورة أخرى وهى أسطورة الأرض والتي مفادها أن الله قد وعد الشعب اليهودي "بأرض الميعاد" وهى أرض فلسطين لكي يجمعوا فيها شتاتهم الممزق منذ آلاف السنين .

وسوف نحاول أن نوضح مضمون هذه الأساطير التي اعتمدت عليها الصهيونية في ترسيخ مبادئها الاستعمارية, والي أي مدي يمكن أن تكون هذه الأساطير صحيحة؟ وما هو موقف جارودي – كفيلسوف فرنسي معاصر حمل علي عاتقة مشكلات الانسانية – من تلك الأساطير؟ ثم كيف تحولت هذه الأساطير الصهيونية من مجرد أساطير إلي سياسات وواقع يتعامل به الإسرائيليون؟

أولاً: من هو روجيه جارودي؟ (١٩١٣ – ٢٠١٢ م) Roger Garaudy:

ولد الفيلسوف الفرنسي " روجيه جان شارل جارودي " في مدينة " مارسيليا " الفرنسية ، في ١٧ يوليو عام ١٩١٣ م ونشأ في بيئة عمالية متواضعة لأبوين ملحدين.[١] وحصل جارودي على إجازة الفلسفة من كلية الآداب ، في " ستراسبورج " عام ١٩٣٦م ثم عين أستاذا لتعليم الفلسفة في " ليسيه " و " إلبى " ، وتزوج عام ١٩٣م من زميلة له تدعى " ميلين " والتحق بالجيش ، بعد ستة أشهر من زواجه الذي لم يدم طويلاً ,إلا أن إطلاق سراحه من الجيش قد تأخر لأسباب سياسية.[٢]

---

(١) محسن الميلى : روجيه جارودي والمشكلة الدينية ، دار قتيبة ، بيروت ،١٩٣٣ ، صـ٢٤ – ٢٥

(٢) أحمد عبد الرحمن بن عثمان القاضي:دعوة التقريب بين الأديان,المجلد الأول,دار ابن الجوزي, عنيزة, المملكة العربية السعودية,١٤٢١هـ ,ص٨٤١,٨٤٢.

ومنذ عام ١٩٣٣م انتمى جارودي للحزب الشيوعي الفرنسي ، معتقدا أن الشيوعية هي الخيار الأفضل للخروج من أزمة الرأسمالية ، كما كانت أفضل جبهة تقاوم " هتلر " و " والنازية " وفى هذه الفترة وفى فرنسا كان معظم المشتغلين بالكتابة والفنون وأساتذة الجامعات وحائزي جائزة نوبل إما أعضاء في الحزب الشيوعي أو أصدقاء للشيوعية ، وذلك بسبب الحالة السيئة التي نشأت عن أزمة الرأسمالية ، وتيار المقاومة النازية .[١]

وقد دخل جارودي البرلمان الفرنسي عام ١٩٤٦م نائبا عن مدينة " تاران " ، ثم انتخب لدورة جديدة عن مدينة " باريس " ، ثم انتقل إلي مجلس الشيوخ حيث عين نائبا لرئيس المجلس ، ورئيساً للجنة التربية الوطنية.[٢]

وقد طاف جارودي معظم دول أمريكا اللاتينية عام ١٩٤٩م ,واتصل بالحركات الثورية هناك وامضي عاماً في الاتحاد السوفيتي كمراسل لجريدة " Humanite "١٩٥١م,وزار كوبا الشيوعية عام ١٩٥٤,ثم الولايات المتحدة عام١٩٥٥م.[٣]

وبعد صدور القانون الانتخابي الموجه ضد الحزب الشيوعي عام ١٩٥١م ، والذي أدى إلي تخفيض عدد نوابه, استغل " جارودي " الأربع سنوات التي ابتعد فيها عن الحياة السياسية ، ليعود إلي التدريس وعمل فترة مراسل لجريدة " Humanite " وأعد رسالته الثانية للدكتوراه في " الحرية " وناقشها في الخامس من يوليو عام ١٩٥٤م في معهد الفلسفة في أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، وكان أول فرنسي يحصل على لقب الدكتوراه في العلوم من " موسكو ".[٤]

وقد برز التوجه المادي الماركسي لجارودي في مقولاته من خلال أطروحته للدكتوراه، بعنوان "النظرية المادية في المعرفة la Théorie matérialiste de la connaissance " حيث أدرج فيها جارودي الموضوعات التي تناولها كلاً من " ماركس" و" أنجلز" و " لينين" وغيرهم من كبار الشخصيات المنظرة للفلسفة المادية والاشتراكية .

---

(١) مصطفى حلمي:إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء، دار الدعوة ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٦م، صـ١٧.

(٢) روجيه جارودي: جولتي في العصر متوحدا، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الأنصار، دمشق، ١٩٩٢م، صـ٨١

(٣) أحمد عبد الرحمن بن عثمان القاضي:دعوة التقريب بين الأديان,مرجع سابق,ص٨٤٤.

(٤) جمال الدين حمدان : الموقف النقدي لروجيه جارودي من الفكر الصهيوني ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٨ م، صـ ٦٦ – ٦٧ .

ولعل من أبرز المواقف السياسية التي تبناها جارودي ، هو موقفة من البراجماتية الأمريكية وسياستها الاستعمارية ، ضد شعوب الشرق الأوسط ، وكذلك موقفة من الصهيونية العالمية ، ورغبتها الاستعمارية في الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وقبل هذا وذاك موقفة من الحضارة الغربية ككل ، وتعبيره عن قصورها وعجزها في الاعتراف بحضارات الغير ، أو في الاستفادة من الشرق ، باعتباره مصدراً حضارياً بعيداً عن النظر إليه على أنه مستوطنات غربية وغنائم يجب الحصول عليها .

وبعد رحلة طويلة من الكفاح والمقاومة توفى جارودي يوم الأربعاء ١٣ يونيو٢٠١٢م عن عمر يناهز ال٩٨ عاما في بلدية" شينفيير " في " سورمان " جنوب شرق باريس.(١)

ثانياً:أسطورة تاريخ اليهود .

يتحدث كثير من الدارسين عن اليهود وكأنهم كتلة واحدة متماسكة ومتجانسة معاً ,ويتم التعبير عن هذا بكلمات مثل Jewry الإنجليزية والتي تعنى " اليهود " باعتبارهم كلاً متماسكاً, ويصبح افتراض الوحدة والتماسك والتجانس أقل كموناً أو أكثر وضوحاً حينما يتحدث الباحث عن اليهود باعتبارهم (الشعب اليهودي) أو (الأمة اليهودية), وهو ما يعنى أن اليهود ينتمون إلي تشكيل حضاري واحد ، وتطلعاتهم واحدة وأن لهم تاريخاً واحداً ,وان مصالحهم وتطلعاتهم المشتركة وأن العناصر المشتركة بين يهود العالم أكثر وحدة من العناصر غير المشتركة.(٢)

وإذا افترضنا وجود تاريخ يهودي فعلاً فما هي أحداث هذا التاريخ ؟، هل الثورة الصناعية على سبيل المثال من ضمن أحداث هذا التاريخ؟ أم أن هذا حدث ينتمي للتاريخ الغربي؟ في الواقع سنكتشف أن الثورة الصناعية حدث ضخم في التاريخ الغربي ترك أعمق الأثر في يهود العالم الغربي ,وأحدث انقلاباً في طريق حياتهم ورؤيتهم للكون في القرن التاسع عشر, ولكن هذا الانقلاب لم يحدث لهم باعتبارهم يهوداً وإنما باعتبارهم

---

(١) مجلة المنهاج,العدد ٦٦,مركز الغدير للدراسات والنشر,لبنان,٢٠١٢م,ص٣٢١٧. وأيضا انظر" وفاة الفيلسوف جارودي " http/gatc.ahram.org.eg/15.6-2012

(٢)- عبد الوهاب محمد المسيرى : مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ٢٠٠٣ ،، صـ ٩ .

أقلية توجد داخل التشكيل الحضاري الغربي ولهذا لم يتأثر بها غيرهم من اليهود المنتشرين حول العالم.(١)

ويرى جارودي أن البحث في مسالة الحقوق التاريخية لليهود في ارض فلسطين على اعتبار وجود تاريخ قديم لليهود هو أمر واضح إذ أن الفضل بين الحقوق التاريخية وأسطورة " الوعد " سهل لأنه لا وجود لأي أثر له خارج النصوص التوراتية وفي نصوص شعوب الشرق الأوسط ولا في المخلفات الأثرية وقصص العهد القديم قبل القرن العاشر (ق.م) . (٢)

فتاريخ اليهود من الإطاحة بمعبد القدس من قبل الجيش الروماني في عام ٧٠م وحتى ولادة إسرائيل عام ١٩٤٨م واليهود يعيشون خارج فلسطين ,وخلال هذه الفترة كانوا يعيشون في غربة والآن التعايش بين العرب واليهود يعد أمراً بالغ الصعوبة حتى وإن كان اليهود ليسوا في حالة اغتراب, وفي الحقيقة استقر اليهود في بلاد ما بين النهرين وفي قطعة كبيرة منها وذلك لأن اليهود والإيرانيين والعراقيين كانوا يتحدثون بكل فخر عن تاريخهم الديني دون انقطاع لمدة ٢٥٠٠ سنة والبابليون التلموديون ظلوا المرشد الروحي لكافة الأديان, واليهود ليسوا هم الأوروبيين الوحيدون الذين شهدوا أهمية هذه الجماعات اليهودية ,فقد كانت بابل مركز روحي لجميع اليهود من الجاليات اليهودية الأوربية .(٣)

ومعنى هذا أن تواجد اليهود في تلك المنطقة من الشرق الأوسط في حقبة تاريخية ليس معناه حقوق تاريخية لهم في فلسطين الوفي أي قطعة أرض من بلاد الشرق ولكن هو مجرد تواجد روحي نتج عن كون بابل والعراق كانت تمثل بالنسبة لكل المتدينين من يهود أوربا وغيرهم الملجأ الروحي والعقائدي لهم ، فما يمثله بالنسبة لليهود هو رمزية دينية فقط وليس حق تاريخي لهم.

فالتاريخ العبري لا يظهر في أي لحظة مميزاً عن تاريخ الإمبراطوريات الكبيرة في بلاد ما بين النهرين من حيثيين ومصريين, ودون أن يؤلف " مركز " التاريخ كما تزعم

---

(١) المرجع السابق ، صـ ١٠ .

(٢) روجيه جارودي:إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، دار التضامن، ط١ ، بيروت,١٩٩٠م، صـ ٣٩.

(٣) (1)- John Rose :the myths of Zionism, Pluto press,London,2002,p3

الأطروحة الاستثنائية للصهيونية السياسية المتناوبة مع نوع من التعليم المسيحي, وعلى عكس الرسم البياني التوراتي التقليدي لم يشكل العبرانيون(*) عرقاً مميزاً قبل دخول القبائل الرحل إلي أرض كنعان حيث تجمعوا في اتحاد تكون من مجموعات عرقية مختلفة وشكلوا هجرات كبيرة من القبائل الرحل.(١)

وقد استقرت بعض هذه القبائل في أرض كنعان وتابعت قبائل أخرى طريقها إلي مصر وأخذت هذه القبائل وبينها من عرفوا باسم "العبرانيين" فيما بعد عن الكنعانيين لغتهم وكتابتهم وطقوسهم الدينية إلي حوالي ١٤٠٠ م ,حيث اقتفوا آثار الغزاة الهكسوس بحثاً عن مراعى جديدة في مصر.(٢)

وقلة الآثار التي تدل على أحقية إسرائيل بأرض فلسطين أو كون العبرانيين هم أول من سكنها توضح على حد قول جارودي أنه يستحيل منحها " حقاً تاريخياً " بصفتها المحتل الأول, فعندما وصلت القبائل إلي أرض فلسطين وجدت " السكان الأصلين " الكنعانيين والحيثيين " حول مدينة "حبرون" التي أسسوها,والعامونيين حول عمان ,وفي الوقت نفسه قدم الفلسطينيون من بحر " ايجة " وأقاموا بين "الكرمل" والصحراء بل إن العرب الذين جاءوا بأعداد قليلة في القرن السابع الميلادي هدوا القسم الأعظم من السكان المحليين إلي الإسلام بمن فيهم الإسرائيليين الموجودين ذلك الوقت, فظهور العرب في فلسطين كان ظاهرة ثقافية أكثر من كونها عرقية حيث أن السكان الأصليين ينحدرون من

(*) **العبرانيون**HEBREWS :وهي التسمية الأكثر شمولية للدلالة علي أسباط بني إسرائيل وتعتبر من أقدم التسميات التي عرف بها بني إسرائيل في التاريخ,وقد اختلف العلماء حول أصلها :فهناك من يربط بين اسم "عبري " وبين واحد من الأجداد القدامى وهو عابر بن شالح بن اررفكشاد بن سام ,وهناك من ينسبه إلي عبور نهر الفرات الذي عبره سيدنا إبراهيم ومن معه بعد أن هاجر من مدينة "أور" وهناك من يري ان الكلمة مشتقة من الفعل عبر بمعني قطع مرحلة من الطريق وتدل علي التنقل الذي هو من صفات أهل البادية(انظر ابراهيم مالمات,جيم تدموز :العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة ,ترجمة رشاد عبد الله الشامي,المكتب المصري ,ط١,القاهرة,٢٠٠١,ص١٦).

(١) روجيه جارودي : إسرائيل بين اليهودية والصهيونية,مصدر سابق ، صـ ٤٠ ، ٤١

(٣) المصدر السابق ، صـ ٤١

الكنعانيين الذين عاشوا فيها منذ خمسة آلاف سنة على الأقل منذ بداية المرحلة التاريخية.(١)

فالواقع أنه لم يكن لليهود تاريخ فكري أو أصالة عقيلة أو فلسفية وكانوا في الأرض أشتاتاً يمشون هنا وهناك, وقد أنزلت بهم المسيحية ضرباتها العنيفة فتوزعوا في الأرض ، وليس ثمة رباط عقلي أو فكري بينهم سوى إيمانهم بالتوراة في غموض وإبهام لم يعرفه مجتمع من المجتمعات.(٢)

وبالتالي يتضح لنا أن الإسرائيليين قد خلقوا أول أساطيرهم بالتركيز على بعض الأحداث التاريخية,وباستغلال حقبة معينة من التاريخ ليثبتوا حقهم بأرض فلسطين وبالحقوق التاريخية لهم.

ثالثاً: أسطورة " شعب الله المختار " .

من الأساطير التي تعتمد عليها الصهيونية لإقامة مشروعها الاستعماري أسطورة " شعب الله المختار " والتي مفادها التفوق الجنسي والنوعي للسلالة اليهودية على سائر البشر وكونهم الشعب الذي اختاره الله لمحبته وبنوته على سائر شعوبه وبالتالي فهذا الحب الإلهي يبرر لهم كل ما يفعلون ويرغم الجميع على تنفيذ مخططاتهم في حق شعوب العالم لأنهم الشعب الأفضل على الإطلاق .

فهناك تيار عميق في اليهودية ينحو نحو عزل اليهودي عن العالم المحيط به ,ويظهر هذا في تعدد الشعائر اليهودية التي تغطى كل جانب من جوانب حياة اليهودي والتلمود الذي يبلغ عدد أجزائه عشرين جزءا في احدي الطبعات لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا تعرض لها ,وهذا يرجع إلي أن اليهودية حاولت توحيد اليهود عن طريق توحيد الشعائر التي تؤكد الانفصال وليس عن طريق توحيد العقيدة والرؤية والقيم الأخلاقية وتأكيد شمولها وفعاليتها كما هو الحال في الإسلام.(٣)

---

(١) المصدر السابق ، صـ ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) صابر عبده أبا زيد : علم الكلام الإسلامي ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ٢٠١٠ ، صـ ٥٠ .

(٣) عبد الوهاب محمد المسيرى : الأيديولوجية الصهيونية ، القسم الثاني ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٦١ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت, ١٩٨٣ ، صـ ٣٦ .

وما يرفضه جارودي هو القراءة الصهيونية القبلية والقومية اليهودية المقدسة باحتوائها على فكرة الماثلة لعهد الله مع الإنسان ومن كل الناس وجوده في داخلنا جميعاً لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهى فكرة " شعب الله المختار" الذي اختاره رب متحيز وجزئي ومن ثم " صنم " وذلك لتبرير جميع أنواع السيطرة والاستعمار كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم.(١)

فقد استغل اليهود النظرية العرقية الكاذبة دائماً في تبرير ألوان السيطرة والعنف ، وقد وصل الاستغلال ذروته في النازية(*) ,إن هتلر في كتابة " كفاحي " يتهم اليهود بأنهم يريدون القضاء على العرق الأبيض الذي يكرهونه وذلك بإفساده بطريق التهجين, إن اليهودي يسمم الآخرين ويحتفظ بدمه سليماً. (٢)

ويرى جارودي أن فكرة الشعب المختار لم تكن مقصورة من ناحية استخدامها السياسي على شعب إسرائيل حسبما ترى اليهودية, وإنما أُستخدمت لدى كثيراً من الشعوب من أجل الفتح الاستعماري أو السيطرة على مجموعة اجتماعية, ولذا يقول " لقد التمس الاستعمار دائماً من جميع الأزمنة ومن جميع الشعوب تسويقاً لاستيلائهم ولاغتصابهم ولسيطرتهم.... وكانت الذريعة بصفة عامة " تفوقاً" في الثقافة تمنح – على زعمها– للمحتمل مهمة تحضيرية لعرقلة بإزاء الآخرين وكانت الحجة الدينية مساعداً ثميناً من أجل الفتح الاستعماري. (٣)

---

(١) عبد الوهاب محمد المسيرى : اليهود في عقل هؤلاء ، دار الحسام ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، صـ ١٢٧

(*) **النازية** Nazism: كلمة مأخوذة من العبارة الألمانية(NSDAP) اي الاشتراكية القومية الألمانية,وهي حركة عرقية شمولية قادها هتلر وهيمنت علي مقاليد الحكم في ألمانيا وعلي المجتمع الألماني بأسره,والحركة النازية حركة سياسية وفكرية ظهرت بعد الحرب العالمية الأولي,والسمة الأساسية للنازية هي علمانيتها الشاملة وواحديتها المادية الصارمة ,وتأكيدها التفوق العرقي للشعب الألماني علي كل شعوب أوروبا وشعوب العالم وإنكارها الطبيعة البشرية (انظر إسماعيل عبد الفتاح: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية,موقع كتب عربية للنشر ,د.ت,ص٤٤٨)

(٢) روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات ,ترجمة قصي اتاسي,ميشيل واكيم,دار طلاس للنشر ,دمشق,١٩٩١، صـ ١٧٢

(٣) روجيه جارودي، المأزق إسرائيل، ترجمة ذوقان قرفوط، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٤، صـ ١٠٠.

وعلى هذا فان أسطورة العرق(*) أو ادعاء التفوق الآري هي خرافة تعتمد عليها كل ثقافة قائمة على الاستعمار, وذلك لأن الغرب يدعى كون نموذجه الحضاري هو النموذج الأوحد الذي يجب تطبيقه ,والذي يجب على الشعوب العالم أن تستجيب له وتضع نفسها تحت إمرته, وهذا ما اتجه إليه الصهاينة في إنشاء مشروعهم الاستعماري للسيطرة على أرض فلسطين ، حيث حاولوا ترسيخ مبدأ التفوق الجنسي والنوعي على غيرهم من شعوب العالم وكذلك التأييد الإلهي المطلق لهم والذي يمنحهم الحق والتبرير لكل ما يفعلون .

وهذا المذهب العرقي ليس له أي أساس علمي فمن وجه النظر البيولوجية ثبت بطلان النظرية القديمة القائلة بالاستدلال بشكل الجمجمة البشرية على صفة ماء وعلم الوراثة المعاصر القائل بأن بعض المورثات تتحكم في خصائص الدم يدلل على بطلان المفهوم البيولوجي للعرق.(١)

وسياسة الحرب تلك والتوسع الاستعماري الدائم ينطوي على ما هو أكثر من الابتزاز والدمار المادي, ينطوي على موقف الإنسان نفسه... ذلك الإنسان العنصري الذي يهدف إلي ترسيخ الإحساس بالتفوق العرقي,(أليس هو شعب الله المختار؟), مثل أي استعمار,ولكن أيضاً الحقد الذي نجم عن النظرية اللاهوتية الزائفة التي لا ترى إلا من وجهة النظر الصهيونية فقط وتقوم على ثلاثة مبادئ مدمرة لإنسانية الإنسان :

- **رفض الآخر وهى نظرية أقامت حاجزاً من النار بين اليهود وباقي شعوب العالم**
- **أن الآخر كل الآخرين أعداء أقوياء .**
- **أن الدولة الصهيونية الإسرائيلية لا يمكن أن تقام إلا على كتاب صلوات الكراهية كدافع وحيد لشبابهم وجيشهم وشعبهم. (٢)**

رابعاً: أسطورة الأرض .

(*) **مفهوم العرق:** هو مفهوم من ابتكار القرن التاسع عشر في أوربا, وقد عبر هذا المفهوم على نحو تعسفي بغية تبرير الهيمنة الاستعمارية الأوربية من مرحلة التمييز بين فرق لغوية مختلفة إلي فكرة وجود اختلافات بيولوجية بين الشعوب ، بل إلي فكرة ترتيب العروق البشرية الكبرى ترتيباً تدريجاً متمايزاً(انظر روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات ،مصدر سابق, صـ ١٧٠)

(١) روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات ،مصدر سابق ، صـ ١٧٢

(٢) روجيه جارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، ترجمة عادل المعلم، دار الشروق ، ط٣ ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، صـ ١٨٩

وهذه الأسطورة ترتبط بسابقتيها وذلك لأنه بما أن اليهود هم شعب الله المختار, وأنهم متفوقين على غيرهم من شعوب العالم بذلك الحب الإلهي المزعوم فالله لكي يرضى أبنائه وعدهم بأرض فلسطين التي تعرف عندهم " بأرض الميعاد ", إضافة إلي حقهم التاريخي فيها وينتقد جارودي بشدة هذه الأسطورة لأنها تقوم على تصفية الشعب الفلسطيني الذين هم أصحاب الأرض الأصليين, وذلك إما بالتصفية الجسدية أو بالتهجير أو بالاعتقال .

وفي الحقيقة لا يمكن فهم الصراع العربي واليهودي في فلسطين بدون فهم الأركان الأساسية التي تقوم عليها الديانة اليهودية وهنا أعنى الديانة التي اعتمدت عليها الصهيونية في ترسيخ مبادئ الاستعمار الصهيوني واحتلال ارض فلسطين.

فهذه الديانة تقوم على ميثولوجيا بأن الإله " يهوه " قد عقد اتفاقية بينه وبين بني إسرائيل وحسب هذه الاتفاقية فإن الله قد اختارهم من بين البشر كحملة عبادته وحده من دون غيره مقابل أن يمنحهم الأرض المقدسة " فلسطين " كوطن خالص لهم ,وجرى الاتفاق الأول بين إله إسرائيل وبين إبراهيم الذي يعتبرونه الجد الأول لهم ,حيث تعهد الرب بمنح إبراهيم ونسله من بعده . وتعنى بني إسرائيل فقط . ارض كنعان وهى أرض فلسطين.[١]

وفكرة " الحقوق الأبدية لليهودي الخالص في أرض فلسطين من الذرائع العنصرية التقليدية في الفكر الصهيوني وهى فكرة تفرض هامشية السكان الأصليين وتتميز هذه الأسطورة برفضها الاعتراف بوجود الغير, حيث ترى أن فلسطين هي الأراضي المقدسة وهى بلد بلا سكان, وان امتلاك فلسطين ليس من حق السكان الأصليين, ولا يمكن لبشر يهوداً كانوا أو عرب أن يتساءلوا عن معنى القرار, لأن محور مشكلة فلسطين يتلخص في حق اليهود المشتتين في العودة ,وهو حق مطلق قائم منذ بداية التاريخ وحتى آخرة – عند اليهود – .[٢]

---

(١)–نضال الصالح :علاقة الديانة اليهودية بالمشروع الصهيوني والتكوين السياسي لدولة إسرائيل ، مجلة الحوار المتمدن ، العدد ٢٦٩٥ , تاريخ الاطلاع٢٠١٦/٣/١٨م ,مأخوذ من موقع http//www.ahewar.org/2/7/2009.

(٢) رشاد عبد الله الشامي : الشخصية اليهودية والروح العدوانية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٠٢ الكويت,١٩٨٦, صـ ١٨٢

وهذه المزاعم الخاصة بالتمييز الناتج عن الاختيار الإلهي تستخدم عادة لتبرير احتلال الفضاء الحيوي, وطرد أهل الأرض الأصليين, عن طريق تلفيقها في أسطورة تلك التي تقول أن الفلسطينيين غادروا الأرض طواعية, بينما أدى فتح الأرشيف إلي أن يعيد المؤرخين الجدد مثل " بني مورس " بناء الواقع التاريخي: الأوامر التي أعطيت للضباط الإسرائيليين بطرد السكان الموجودين منذ آلاف السنين بالقوة العسكرية مثلما حدث في "دير ياسين" أعادت إلي الذاكرة قوات النازية التي قامت بارتكاب مذابح ضد المدنيين.(١)

وفكرة المكان المسكون بالروح هي فكرة متصلة بمفهوم العرق ,وهى الخيط الذي يقود كل الممارسات القومية المتعصبة في القرن التاسع عشر المطالبة باسترجاع الأرض, وها هو " هرتزل " المفعم بالثقافة الألمانية يربط فيما بين الأطروحتين, ففي كتاب " الدولة اليهودية " يلح على فكره العرق اليهودي قائلا إن اليهود المتفوقين مادياً وفكرياً قد فقدوا كل شعور بوحدة انتمائهم العرقي, إن اليهود الأقوياء يلوذون بعرقهم مزهوين واثقين كلما اندلعت الاضطهادات ضدهم.(٢)

ويرى جارودي أن هذا الوعد إذا ما اخذ بمعنى " وعد " بالأرض فإن قراءة النصوص المقدسة في الشرق الأوسط ترينا أن جميع الشعوب قد لمست فيها وعوداً متشابهة من أربابها تعدها بالأرض من العراق إلي مصر مروراً بالحيثيين, ففي مصر أقام "تحتمس الثالث "معبد الكرنك بين عامي (١٤٨٠ – ١٤٧٥ ق . م) احتفالاً بانتصاراته, وقد قال له الإله " لقد حددت لك بالأمر الأرض بالطول والعرض و جئت لأمكنك من أن تستحق أرضهم, وعلى الطرف الآخر من الهلال الخصيب بالعراق وفي اللوحة السادسة من قصة الخلق البابلية نجد الإله " مردوخ " يعين لكلٍ حظه.(٣)

و جارودي هنا يريد إثبات هزلية الحجة التي تعتمد عليها الصهاينة في استيلائهم على أرض فلسطين ,وذلك لأنه بمقدور كل شعب أو كل ديانة أن يعلن أصحابها أنهم موعودين من قبل ربهم بهذه الأرض أو تلك .

---

(١) روجيه جارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية,مصدر سابق ، صـ ٤٧

(٢) روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات,مصدر سابق ، صـ ١٧٧

(٣) المصدر السابق ، صـ ٢٩٣

ويري الباحث أن ارتباط اليهود بالأرض هو تعبير عن ربط المطلق (الدين) بالنسبي (المكان) ,وذلك لإضفاء نوع من القداسة والأهمية على المشروع الذي يقيمه الصهاينة, وذلك لان الاعتماد فقط على شق سياسي لتحقيق مشروع الدولة الإسرائيلية لم يكن سينجح بقدر النجاح الذي سيحصلون عليه جراء الاعتماد على العامل الديني, كما أن البعد عن الناحية الدينية كان سيجعل بناء المشروع يتم على أي دولة في الشرق الأوسط سواء فلسطين أو غيرها .

ويبدوا واضحا أن الإسرائيليين أنفسهم يعلمون أنهم مغتصبون لأرض فلسطين ,أو على اقل تقدير أصحاب المشروع الصهيوني منهم ,ولكنهم مع ذلك يتلاعبون بمشاعر باقي اليهود في العالم ويحاولون إقناعهم بالأحقية التاريخية لأرض اليهود في العالم ويحاولون إقناعهم بالأحقية التاريخية لأرض فلسطين التي هي وعد الله لهم ,وهم مع ذلك يعلمون صعوبة هذه المسألة وحساسيتها بالنسبة للمسلمين والعرب ولهذا يقول" موشية دايان(*) "لو كنت زعيماً عربياً لما قابلت وجود إسرائيل هذا طبيعي, لقد أخذنا أرضهم, صحيح أن الله وعدنا بها ولكن ما شأنهم في ذلك؟, كان هناك عداء للسامية من قبل النازيون وهتلر أوشيفتز(*), ولكن هل كان ذلك ذنبهم ؟إنهم يرون شيئاً واحداً وهو أننا أتينا وأخذنا أرضهم وقد ينسون بعد جيل أو جيلين ولكن لا توجد إمكانية لذلك الآن.(١)

(*) **موشيه دايان**(١٩٥١-١٩٨١م)ولد في مستوطنة ديجانا بفلسطين عام ١٩٥١ لأبوين يهوديين ,هاجرا من أوكرانيا,وقد امن ديان بان الدولة العبرية لم تقم علي أنقاض فلسطين,واعتبر ان الحدود بين دول الشرق الأوسط ليست شيئا مقدسا وإنما دعي الي تعديلها بما يخدم المصالح الإسرائيلية ,ويخلق واقعا صعبات تغييره, وقد عمل بالسياسة بعد أن ترك الخدمة في الجيش وشارك في معظم الحروب العربية الإسرائيلية , وعمل وزيرا للزراعة ثم وزيرا للخارجية,وحقق لإسرائيل انتصارات دبلوماسية كثيرة أهمها توقيع معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر عام ١٩٧٩م.(انظر موقع الجزيرة الالكتروني,http//www.aljazeera.net.specialfiles.3/10/2004"موشيه دايان"

(*)- انشأ النازيون في بلدة "اوشفيتز" الغربية من مدينة كراكون البولندية أكبر معسكرات الاعتقال وأكثرها شهره بين عامي ١٩٤٠ – ١٩٤٥م, وقتلوا أكثر من مليون شخص بينهم عدد من اليهود، إضافة إلى أعداد كبيرة من البولنديين والغجر وسجناء الحرب الروس.(انظر ندى الشيقيقى : الهولوكوست ، حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها, مرجع السابق,ص١١٥)

(1)-Heller Mark: continuity and change in Israeli security policy, the international institutor for studies,London,2000,p10

وهذا الشعور العربي و الفلسطيني بالقهر واغتصاب الحق بغير وجه الحق وهو ما دفع الفلسطينيين إلي تبنى فكره المقاومة الشعبية, وذلك بعد أن تخاذل المجتمع الدولي وبخاصة الأوربي منه عن الدفاع عن حق الشعب الفلسطيني وإيقاف الاستيطان اليهودي في أرض فلسطين, وهذا ما تبناه جارودي وقليل من المفكرين الغربيين المنصفين ولعل هذا ما جعل جارودي دائما في مواجهة مع الفكر الغربي الاستعماري, وذلك لأنه كان على الدوام ما يواجه هذا التفكير المستبد بحقيقته التي يتغافل عنها الكثيرون .

فقد ذهب جارودي في موقفة من المقاومة الشعبية في فلسطين إلي أن الحديث عن ذلك هو حديث عن صراع مشروع ,لأن ما يخوضه الشعب الفلسطيني ليس صراعاً قومياً بالمعنى الغربي للكلمة, فهو من ناحية عودة إلي أرض زرعها أجدادهم دون انقطاع منذ أربعة آلاف عام ومن ناحية أخرى رغبة في أن يصبحوا مرة أخرى جزء لا يتجزأ من المجتمع العربي ومن الأمة, فهو في جوهره صراع ضد الاستعمار.[١]

فمفهوم المقاومة الفلسطينية لم يظهر سوى مقاومة الفكر الصهيوني, ومقاومة الهجرة اليهودية إلي فلسطين والاستيطان فيها, وبعد تخاذل الدول العظمى في المنطقة مع القضية إضافة إلي قضية اللاجئين الفلسطينيين, وشرعية دولة إسرائيل من الأساس, واحتلالها لأراضى فلسطين, وما نتج عن ذلك من ارتكاب المجازر بحق الفلسطينيين ولذا فمهما يعتقد حول هذه المقاومة أو رفضها فهي مقاومة مشروعة لأنها رد فعل للحركة الصهيونية الاستعمارية .

خامساً:التحول من الأسطورة إلي السياسة .

بعد أن عملت الصهيونية على نشر عدد من الأساطير والخرافات التي حاولت من خلالها التأثير على المجتمع الدولي, وعلى الطوائف اليهودية قبل المجتمع الدولي لإقناع الجميع بمن فيهم العرب والمسلمين بأحقية اليهود بأرض فلسطين, حتى يصبح ذلك واقعاً يتعامل معه الجميع عملت على خلق سياسة خاصة لتنفيذ مشروعها .

ولكي تنجح الصهيونية في مشروعها الاستعماري عملت على الحصول على تأييد كلى من الدول الاستعمارية الكبرى, فقد رأى هرتزل مؤسس الصهيونية وجوب طرح المسألة اليهودية على الدول الكبرى وطلب منها المساعدة في إنشاء دولة تضم اليهود, وذهب إلي

(١)- روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات ، صـ ٦١٥

وجوب أن يضطلع بالعمل التنفيذي جهازان يتمثل الأول في جمعية اليهود والثاني في تكوين شركة يهودية رأى أن يكون مركزها لندن, وتقوم بعمليات شراء الأراضي ونقل اليهود إليها .(١)

أما رأس المال المقدر لهذا العمل فبلغت قيمته "خمسين مليون جنية إسترليني ", ورأى أن يستوطن اليهود فلسطين أو الأرجنتين, ورجح الأولى لأنها كما يقال عنها " وطننا التاريخي الذي لا ينسى والذي يجذب سحر اسمه اليهود.(٢)

وسيطرة اليهود على الأراضي الفلسطينية لزمه أن يكون هناك ذراعاً عسكرياً للمشروع الصهيوني, ولهذا عملت الصهيونية على عسكره المجتمع الإسرائيلي, وذلك بجعل المجتمعات الاستيطانية مجتمعات ذات طابع عسكري, وبسبب أنه لا يمكن وضع الأسطورة الاستيطانية موضع التنفيذ إلا بقوة السلاح, وهى بذلك لا تستثنى من هذه القاعدة أحداً فهي مجرد تحقيق جزئي لنمط متكرر, وقد ظهرت منظمات ومؤسسات عسكرية قبل عام ١٩٤٨ ودمجت في مؤسسة واحدة هي المؤسسة الإسرائيلية التي أصبحت العمود الفقري للتجمع الاستيطاني الصهيوني.(٣)

ويتميز المجتمع الإسرائيلي بصبغة عسكرية شاملة قوية, فجميع الإسرائيليين القادرين على جمل السلاح رجالاً ونساءً يؤدون الخدمة الإلزامية, فالإسرائيليين كما يصفون أنفسهم " الأمة المسلحة " أو " هم جيش في إجازة ".(٤)

وإضافة إلي ذلك الدعم المادي والعسكري الذي قدمته الدول الأوربية وبخاصة انجلترا لإسرائيل, والذي نقلت فيه صراحة إلي الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية والتي جعلت الولايات المتحدة هي الحليف الأول لإسرائيل والممول الأول لها عسكريا .

---

(١) عاطف عيد:تاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم,ج٧, ٨, Edito creps,ط١, ١٩٩٩م ، صـ ١١٣

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) عبد الوهاب محمد المسيرى : الصهيونية والعنف,دار الشروق,القاهرة,٢٠٠٢م ,صـ ١٢٦

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة

فيكفي أن تشير المصادر إلي أن المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل أثناء عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ م قد بلغت حداً أسطورياً, وهذا ما يقوله الصهيوني " ميكائيل بارزوهار Michael Bar Zohar " منذ شهر حزيران راحت كميات ضخمة من الأسلحة تتدفق على إسرائيل بموجب اتفاق بالغ السرية ..... دون أن تعلم بذلك انجلترا وفرنسا.(١)

وهكذا تتبدد كثيراً من الأساطير ولا سيما الأسطورة الخطيرة القائلة بأن إسرائيل دولة صغيرة ضعيفة مهددة على الدوام باكتساح العرب لها , ومحكوم عليها بأن تقاتل في سبيل البقاء ,بينما تمتلك بفضل الولايات المتحدة وسائل تمكنها من الوصول إلي دمشق أو بغداد أو عمان أو القاهرة في ثمان وأربعين ساعة, مثلما فعلت في بيروت, والأخطر من ذلك تلك الأسطورة القائلة بأن إسرائيل مهددة دائماً بالإفناء بينما تشكل هي في واقع الأمر التهديد الدائم لجارتها . (٢)

وأما عن سياسة إسرائيل الخارجية فهي سياسة توسع وعدوان تنبع من المبادئ الأساسية والممارسات العرفية للصهيونية ,وهى سياسات كانت سبباً في كون الشرق الأدنى عرضة للحروب منذ ولادة هذه الدولة, ويكفي أن نشير أنها أقامت مع مصر خمسة حروب متوالية: ١٩٤٨م – ١٩٥٦ م– ١٩٦٧ م– ١٩٨٢ م.

الخاتمة

يتضح من خلال العرض السابق أوجه النقد التي قدمها جارودي للحركة الصهيونية ولتلك الأساطير التي اعتمدت عليها الصهيونية لترسيخ مبادئها والتي كان أشهرها أسطورة الحقوق التاريخية, والتي تتوهم وجود حقوق تاريخية لليهود في أرض فلسطين منذ قديم

(١) روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات ,مصدر سابق، صـ ٢٧٩

(٢) المصدر السابق,ص٢٨٠

الأزل, وذلك على اعتبار أن الشعب اليهودي عاش فترة من الزمن في أرض كنعان وهي مجرد فترة تاريخية عاش فيها معظم المتدينين في تلك البلاد ,ثم إن قلة الآثار الموجودة لليهود في تلك الأرض تثبت هزلية هذه الأسطورة .

وكذلك أسطورة شعب الله المختار والتي بناءاً عليها يصبح اليهود متفوقون على كل شعوب العالم, لأنهم شعب الله وبالتالي فهم يبررون كل أفعالهم و أساليبهم العنيفة تجاه الغير, لأنهم الشعب المختار الذي لن يحاسبه الله على ما يفعله,وهي خرافة منافية للعقل والمنطق فكل البشر متساوون في الصفات الجوهرية وليس لشعب دون شعب أفضلية أو تفوق.

وكذلك من هذه الأساطير " أسطورة الوعد الإلهي " والتي مفادها أن الله قد توعد بني إسرائيل بأرض فلسطين, التي هي حق لهم وبالتالي على جميع الشعوب أن تعمل لتحقيق هذا الوعد لشعب الله ,دون النظر إلي الخسائر أو التضحيات المالية والبشرية التي يمكن أن تبذل سبيل تحقيق ذلك الوعد...وكل هذه الأساطير ما هي إلا محض افتراءات الغرض منها إثبات أحقية اليهود بأرض فلسطين وإقناع الجميع في العالم بمن فيهم العرب واليهود الرافضين للمشروع الصهيوني بما تفعله الحركة الصهيونية لنيل حقوقهم التاريخية في فلسطين.